

المحاضرة الاولى

الفصل الاول

جغرافية المدن . أهميتها – دراستها – أهدافها ،
وطرق البحث فيها

ادى توسع المدن وازدياد حجومها وتعظيم
اهميتها، في المشاركة في تطور الظاهرة الحضرية
في العالم ، إلى اهتمام الباحثين من المختصين في
علم الجغرافية ومخطوط المدن اضافة الى العلوم
الأخرى ، كل من الزاوية التي تهم تخصصه الدقيق
. فوجد الجغرافي في هذه الظاهرة البشرية والمدن
ومن نشأتها ونموها وتطورها وتركيبها
الداخلي والمشاكل التي تواجهها محفزة لاستغلال
قابلياته وخبراته واعتبرها جزءا من حقله التطبيقي
الذي يساهم عن طريقه في تطبيق خبراته
وتحويلها إلى الحيز العلمي عن طريق استثمارها
في المشاركة في تخطيط المدن مع غيره من
المتخصصين الآخرين في علوم الهندسة
والاجتماع والاقتصاد والقانون وغيرها . ونتيجة
لهذه الجهود بدأت مؤسسات تخطيط المدن والأقاليم
وتوقيع مايمهم الاستثمار الصناعي والتجاري

والاجتماعي والسكني وغيرها تعترف بفضل الجغرافي لما له من دور في هذا المجال. وترجع اسس الدراسات الحديثة في جغرافية المدن الى الثلث الأول من القرن العشرين عندما اقام كريستالر بكتابة نظريته (الأماكن المركزية في سنة 1934. والتي اعتبرت البداية في الدراسات الحضرية الجادة بشكلها الحديث لما حظيت به من نقد وتمحيص ومحاولة تطبيق على اقاليم متعددة من دول العالم. مما أدى إلى تجميع معلومات وافية ودقيقة كونت الأسس العلمية لدراسة جغرافية المدن وفق آراء ونظريات حديثة تبعت تلك الدراسات. الا أن هذا لا يعني أن المدينة والاهتمام بها لم يكن له وجود بل العكس من ذلك ، لكن الفرق واضح في المنهجين وما احتوى كلا منها على مفردات تتعلق بكيفية تناول دراسة المدن والظواهر التي تتضمنها أو الناس الذين يسكنوها وكذلك علاقاتها الاقليمية .

فالإغريق مثلاً اهتموا بتخطيط مدنها ومن ناحية العمارة والحضارة كما انهم ارتفعوا بكل

مدينة من مدنها الى مرتبة الدولة و عاشوا في دول المدن . كما اهتم الرومان كذلك في تخطيط المدن كاساس رصين لفنون العمارة . وظهرت مدنها التجارية على الجزر و على سواحل البحر المتوسط، ولكنها كمعظم لمدن القديمة كانت متباعدة مبعثره بشكل ظاهر صغيرة الحجم بسبب ضيق الجيوب الساحلية التي تعتمد عليها في تموينها بالمواد الغذائية . والى جانب المدن الساحلية التي اشتغلت بالتجارة قامت مدن داخلية تعرف بمدن القوافل وهذه كانت قليلة العدد تقع على أطراف الصحراء تقوم كحلقة وصل بين مدن الساحل الفينيقي و بلدان الشرق الأوسط . وكان العرب في العصور الوسطى اهتمام كبير بدراسة المدن من حيث وصفها ووصف أقاليمها . اي انهم اكدوا على الجغرافية الاقليمية ومن ضمنها دراسة المدن

فقد بحثوا في مناخ الأقاليم والمدن واعدادها والجبال ومظاهرها والبحار والأنهار وذلك بقصد شرح اهمية المدن الجديدة التي فتحوها او شيدوها ومن خلال ذلك وصفوا عادات السكان وصناعاتهم واحوالهم وطرق معيشتهم .

وكان من ابرزهم ابن حوقل والمسعودي وابن خرداذبة والادريسي و ياقوت الحموي والبغدادى .
ثم ابن خلدون الذي كتب مقدمته في القرن الرابع عشر وتناول فيها العوامل التي تؤثر عليها وخاصة الطبيعية منها وحجومها ووظائفها وعلاقاتها الاقليمية واهمية موقع المدينة من حيث مناطق الرعي والزراعة والوقود ومواد البناء الضرورية لسد حاجة سكانها . كما تناول نشاطاتها الاقتصادية التي تقدمها لسكانها وسكان الأقاليم المجاورة .
ومن ذلك يمكن القول بأن الجغرافيين العرب كانت لهم اسهاماتهم القيمة في مجال جغرافية المدن ، وبأنهم وضعوا اللبنة الأولى في صرح هذا التخصص الذي اجلي عنه الغبار في الفترة الحديثة وزوقت واجهته واصبح يرتاده منتفعيه.

اما في أوربا في فترة العصور الوسطى ، فقد كان خمولا فكريا وحضاريا فيها ومع ذلك نجد بعض الكتاب واغلبهم من القساوسة ورجال الدين يتخذون من كتابهم المقدس اسامة لكتاباتهم الجغرافية التي كان الغرض منها دعم الديانة

المسيحية. لذا فأنهم قد خلطوا بين الواقع والخيال .
وتضمن بعضها معلومات شيقة عن بعض الأماكن
ولكن بصعب تسميتها معلومات جغرافية . وبشكل
عام فان جميع الكتابات التي سبقت المحاولات
الحديثة في بحث جغرافية المدن، كانت ترجع
العلاقة بين موضع المدينة وموقعها وتركيبها
ونموها الى التأثير البيئي (Enviroment
Influence) الذي يعتبرونه الموجة لجميع
فعاليات الانسان والذي له القدرة على صياغتها الا
ان هذه المدرسة الجغرافية الحتمية قد أقل

نجمها وحلت محلها المدرسة الإمكانية التي تؤمن
بقدره الانسان ودوره في اظهار المدن وتخطيطها
بالشكل الذي يتلاءم مع رغباته وامكاناته وبشكل
عام فان جغرافي المدن ، يهتمون بدراسة الجوانب
الحضرية المتباينة متناولين بالبحث والتقصي عن
مواقع الفعاليات المدنية، والعلاقات التي تربط
بعضها ببعض الآخر والتأثيرات المتبادلة بينها
داخل المدينة الواحدة . كما يتعدى ذلك إلى دراسة
العلاقات والتأثيرات بين المدينة والمنطقة التي
تحيط بها وتتبادل معها الخدمات والمنافع والتي
يطلق عليها تسمية (الظهيرة أو الاقليم

(Hinterland, Region) ولقد حظيت دراسة العلاقات الاقليمية بين المدن ومناطق نفوذها باهتمام كبير نظرا لاعتماد المدن الرئيسي في حياتها وتطورها على نوع وعدد ودرجة تركيز الخدمات والفعاليات الاقتصادية والاجتماعية التي تقدمها اية مدينة الى اقليمها وهذا ناجم من قاعدة عالمية معرفة مفادها أن اية مدينة لا يمكن ان تكتفي ذاتية بل من الضروري جدا ولكونه من مقومات وجودها واستمرارها هو تبادل المنافع بينها وبين اقليمها فالمدينة هي المكان المركزي الذي يقوم بتوفير المواد والخدمات المختلفة للمناطق المحيطة به، مقابل قيام تلك المناطق بمد المدينة بالمواد الغذائية من المنتجات الزراعية والحيوانية او الصناعية احيانا من مناطق الضاحية

آن مهمة دراسة الجغرافي للمدن من الزوايا المذكورة آنفا ولغرض الاحاطة التامة بكل العناصر ذات التأثير على المدن وعلاقاتها الاقليمية ، ولغرض الحصول على نتائج سليمة تمكنه من اصدار القرارات والاحكام العلمية الدقيقة فإنه مضطر الى الاعتماد أو الاستعانة ببعض المعلومات

من حقول المعرفة الأخرى مثل الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية والهندسة المعمارية والأنواء الجوية والجيومورفولوجي والجيولوجي وعلم التربة والهيدرولوجي وعلم النفس وغيرها . ولكي يعطي فكره واضحاً عن أهداف جغرافية المدن والمجالات التي نبعثها نورد فيما يلي أهم المحاور التي تدخل ضمن بحوث ودراسة هذا التخصص من التخصصات الجغرافية

1 - دراسة نشأة ونمو وتطور المدينة ، والعوامل الطبيعية والبشرية والحضارية ذات العلاقة بتلك الجوانب . ويدخل ضمن هذه الدراسات تناول كلا من الموضع (Site) والموقع (Situation) بالبحث والموضع. (يعني مساحة الأرض التي تقوم عليها المدينة، والتي توضع على الخرائط بدوائر صغيرة او نقاط). اما الموقع ، فيشمل على مساحة اكبر لانه يتضمن الاراضي التي تحيط بالمدينة والتي تعتبر جزءاً . من اقليمها او ظهيرها ، أو قد تكون متطابقة مع حدود اقليمها في بعض الأحيان . (كما سيأتي ذكرها لاحقاً بشكل مفصل)) ويؤكد في دراسة كل من الموضع والموقع التعرف على طبيعة الصخور وجيولوجية المنطقة نظراً لتأثيرها

على درجة مقاومة الصخور وتأثيرها على مدى الحاجة إلى ركائز كونكريتية أو أسس عميقة عند الشروع ببناء عمارات سكنية في حالة كون الأرض ترابية . او درجة انحدار الأرض التي تبنى عليها المدينة لتأثير هذا الجانب على مجاري المياه القذرة وكذلك على الطرق وكيفية تخطيطها. كما تدرس الموارد المائية من حيث كميتها ومدى صلاحيتها ومقدار بعدها عن المدينة ، هل هناك حاجة إلى جلب المزيد منها من مناطق بعيدة، والتفكير في ديمومتها وموازنتها مع عدد السكان ونموهم في المستقبل) كما يدرس المناخ وعناصره، لكونه عاملا مؤثرا على شكل البناء وطبيعته . فالنوافذ في العراق مثلا ينبغي أن تتجه الى جهة الغرب والشمال الغربي لكي تستفيد من الرياح الشمالية الغربية السائدة ، وفي المناطق الباردة يقلل مساحة النوافذ ، وفي الجهات التي تسقط فيها الثلوج تجعل سقوف المنازل أكثر ميلا وهكذا .) كما تدرس طبيعة الأرض ومقدار خصوبة التربة في اقليم المدينة ومدى صلاحيته للزراعة بعلاقة ذلك بمقدار اعالة السكان في المدينة . وهل بالامكان توفير المواد الغذائية لهم وخاصة تلك

المواد السريعة التلف. كما ينبغي دراسة مدى توفر الأراضي في المناطق المجاورة للمدينة وهل بالإمكان التوسع فيها في المستقبل عندما تنمو وتتوسع بسبب ازدياد حجمها أو عند التفكير في التوسع في وظائفها التي تقوم بها إلى غير ذلك من الجوانب التي تهم الخطط والتي يحتوي عليها كلا من موضع المدينة وموقعها.

طرق البحث في جغرافية المدن :

هناك طريقتان يمكن للجغرافي أن يتبعهما في بحثه في مجال جغرافية المدن هما

1) الطريقة التي تناول النواحي الوظيفية المدينة Functional Approach . حيث يؤكد الجغرافي بموجبها على دراسة توزيع المدن وحجومها وتباعدها ووظائفها وكذلك درجة نموها وتطورها والعوامل التي أدت إلى ذلك، كما يدرس إقليم المدينة من حيث تحديده وتعيين الأسس والمعايير التي تستخدم في ذلك التحديد .

ودراسة ظروفه الجغرافية، والعلاقات التي تربط المدينة وبذلك الاقليم وكذلك العلاقة بين مدينة واخرى او بين اقليم واقليم آخر)

(٢) الطريقة التي تهتم بمورفولوجية المدينة وهي التي تبحث في الحيز الذي تشغله المدينة (الموضع) ، ونظام مبانيها وتخطيطها واسس ذلك التخطيط. وهذه الطريقة تساعد على معرفة أصل المدينة وتطورها ووظائفها وتركيبها الداخلي. وضمن هذه الطريقة تدرس استعمالات الأرض في المدينة والعوامل التي أدت إلى توزيعها بالطريقة التي. Morphological Approach هي عليها وعلاقاتها المتبادلة وما يترتب عليها من نتائج .

- ومن الطرق التفصيلية الخاصة بدراسة موضوعات تخص جغرافية المدن بحسب الأهداف المتوخاة منها مايلي)

(1) دراسة وظائف المدينة City Functions (في وضعها الحالي من حيث

تركيبها الداخلي وتنظيمها وأحوال سكانها، وهنا يركز الباحث على ترتيب شوارع المدينة وكيفية تخطيطها وتنظيم ارضها وتقسيمها إلى مناطق او

اقاليم وظيفية تختلف عن بعضها كمنطقة الأعمال المركزية) Central والمنطقة السكنية والمنطقة الصناعية والمنطقة الترفيهية وغيرها .

(2 دراسة التطور التاريخي للمدينة والاهتمام بنمو فعاليتها والعوامل التي أثرت في اتخاذ شكلها وتركيبها على فترات ذلك النشوء والتطور)
(٣ دراسة العلاقات التي تربط المدينة باقليمها أو منطقة نفوذها وهي من

المواضيع التي تجري عليها كثير من البحوث الجغرافية والتي تتطلب الامام بالطرق الاحصائية والتعبير عنها بالأشكال والخرائط لكي يمكن توضيح طبيعة تلك الارتباطات بين المدينة واقليمها) وقد قادت هذه الدراسات إلى التوصل بان اقاليم المدن تتخذ أشكالا هندسية مختلفة بعضها منتظم والآخر غير ذلك.

(4 كما يهتم الجغرافي بدراسة المدينة وينظر اليها كظاهرة اقتصادية ، وهو في هذه الحالة يحاول تحليل نشاطها الاقتصادي إلى فعاليات أساسية وفعاليات غير اساسية او خدمات تكون الفعاليات الأساسية الأساس الذي تعتمد عليه المدينة في بقاءها ونموها ، وتشمل عادة الفعاليات التي تصدر

وتجلب دخلا من الخارج ..اما الفعاليات غير الأساسية فأنها تتكون من الخدمات التي تقدم لسد حاجات سكان المدينة .

أن العوامل الأساسية في بقاء المدن وتوسعها هو ضرورة قيامها بوظيفة أو مجموعة من الوظائف والخدمات التي تقدمها إلى سكانها في الداخل والجماعات الأخرى خارج حدودها .

هـ (دراسات عامة مقارنة بين المدن المختلفة للتعرف على الأسباب التي ساعدت على تشابه بعض المدن او اختلاف بعضها عن البعض الآخر